

مفاهيم عصرية في شعرنا المؤتم*

ج - صياغة راقية .

د - موسيقى موحية .

٣ - ثقافة اصيلة ، تصور العصر الذي عاش اوعيش فيه الشاعر .
٤ - اطلاع واسع ، على ما انتج الشعراء من اية مدرسة كانوا .

فاذا اجتمعت هذه العناصر لشاعر ، وندت في نفسه مشاعر واحساسات ، تجعل لشعره روعة ، وسجرا ، ينتقلان الى نفس سامعه ، وقاربه ، ويصدفان القول المأثور :
« ان من البيان لسجرا »

وفوق هذا ، فلا بد للشعر من الايحاء ، والا كان الكلام نظما لا خير فيه ، لان الشعر في حقيقته ، انما هو كشف عما في نفس الشاعر من استجابات لتأثيرات الحياة والمجتمع والكون ، في نفسه .

فاذا نحن تدبرنا ذلك كله ، رأينا ان الشعراء المؤتمين ، عاشوا مأساة عصرهم وانتصاراته ومجده .

لا انكر ان الشاعر المؤتم ، قد وقف على ابواب الامراء والسلطين ، ووقوفه هذا ، اعده اغترابا مؤقتا عن الشعب وهمومه ، لكن هذا الشاعر كان يعود الى سجيته مشاركا الشعب همومه وآلامه . ودلينا على ذلك ، ان الشاعر المؤتم كان متفاعلا مع الجمهور ، وكان الشعب يعجب بشعره ، ويطرب له ، وكانت كلمته في الجاهلية وفي صدر الاسلام ، تنخفض قوما وترفع آخرين . الامر الذي ثبت له زعامة فكرية ، لانه كان مصورا لحياة عصره ، ملتزما بمفهوم قومه ، وان توهم بعض النقاد ، ان الشاعر المعاصر ، هو وحده الذي التزم بقضايا قومه الوطنية وهمومهم الانسانية . .

ان الذين ينكرون على الشاعر المؤتم اصالتهم ، ينسون ان حاضرم سائر نحو الماضوية وان اصرارهم على انكار فضائل الماضي هو قتل لحاضرم ، وواد لمستقبلهم .

التهم التي توجه لادبنا المؤتم والفرض منها :

التهم التي توجه لادبنا المؤتم ، ولا سيما شعره ، كثيرة ، منها انه :

١ - ادب شخصي ، لا يتجاوز الضرورات التي يشارك الانسان فيها البهائم ، ومن هنا لا يمكن لادبنا المؤتم ، شعره ونثره ، ان يرقى الى المستوى الانساني ، - كما يدعون - الذي يعبر عن الانفصال الذي يسمو فوق الضرورات الشخصية ، فالذين يقولون هذا القول ،

ايها الاخوان الشرفاء .. ايها الامناء على قيمة اكله وشرفها ، تحية خالدة ..

كان الشعر ديوان العرب ، وما زال ينال منهم كل رعاية وحفاوة ، مع هذا ، فقد ظل الحكم عليه يخضع للذوق ، ذوق النقاد ، وذوق السامع ، وما دام الامر كذلك ، فلا غرابة في اختلاف الاحكام ..

حقا ، اني ما كنت أخوف في بحثي هذا ، لولا سماعي احكاما متجنية ، تنكر على ادبنا المؤتم عامة ، والشعر خاصة ، اية قيمة ، تخدم الانسان ، وكرامة الانسان . وهذا القول المطلق ، او التهمة الجائرة ، انطلق منها الداعون الى اسقاط الشعر المؤتم ، جملة ، وتفصيلا ، من حساب الادب .

في حين انه من المسلم به ، ان مجال الشعر في كل عصر من العصور ، انما هو الشعور ولا فرق عندي ، بين ان ينبت ذلك الشعور من التجربة الذاتية ، التي توضح ما في نفس صاحبها من مشاعر واحساسات شخصية ، ام كانت تجربته بمنزلة نافذة ، اطل منها الشاعر على ما في الكون من هموم ، ومشكلات ، تراعت له ، من خلال شعوره الفياض ، فحاول ان يجد لها حلولا ، اعانه عليها خياله المجنح ، وشعوره المتدفق .

فالشعر ، كما نعلم ، يخاضب القلب والعواطف والاحساسات ، والشاعر هو ذلك الانسان الذي يستطيع ان يشير احساسات سامعيه ، وقاربيه الى الاعماق - اذا كان صادقا - وعواطف الناس ما تبدلت ، ولا تغيرت ، من اليوم الذي وجدت فيه الحياة على كوكبنا هذا ، الى اليوم .

فالحب ، هو الحب ، ما تغيرت دوافعه ، وان تغيرت اساليبه ، والبغض ، هو البغض وان تطورت سبل اظهاره ، والشعر آتق ، عندي - ان كان لبي عند ، كما يقول الجاحظ - هو الذي يشتمل على هذه العناصر :

١ - هدف معين .

٢ - تجربة صادقة عميقة تعتمد على :

أ - مشاعر صادقة فياضة .

ب - صور حية .

(٣) كلمة « المؤتم » تعني الادب الذي يقتدى به ، والادب الذي ثبتت له الزعامة ، فاتخذه الابداء اماما لهم . والكلمة عندي اللفظ من كلاسيسي او اتباعي .

يريدون ان يتهموا العقيلة العربية - في كل زمان ، وفي كل مكان - بالمقم ، ويؤمنون الى اتهام الخيال العربي بالضحولة وضيق الافق ، وكانهم يقولون ضمنا ، ان طبيعة العربي ، مقيدة بطبيعة الحيوان ، الاصم ، الابكم ، الذي لا يهتم الا بما تدفعه اليه الفريضة ، بالضرورة ، من ماكل ومشرب وجنس .

اجل ، انه اتهام رهيب للغاية وارهب ما فيه ، ان يقتنص ابنائنا به ، ويؤمنوا بصحته ، فينتكروا لماضي امتهم ، متدرجين من الشعر ، الى الادب عامة ، ثم يصل بهم الامر الى تاريخ الامة ، وكل ما لها من مجد ، ومن خدمة للبشرية ، وفضل على الانسانية .

ب - الاتهام الثاني ، ان شعرنا المؤتم ، يخلو من الالتزام .
ج - والاتهام الثالث ، ان الحب فيه مادي لا يعدو كونه رسم خرائط حدود ونهود .

د - والاتهام الرابع ، انه لا يحس بالطبيعة ، التي هي اول عنصر من عناصر الارتباط بالارض .

هـ - والاتهام الخامس ، ان مفهوم الوطنية فيه مفقود .

و - والاتهام السادس ، انه لا يواجه مشكلات الحياة ، ولا يعالجها .
ز - وشر الاتهامات ، انه ادب او شعر رتيب ، لم يفهم الحرية ، ولم يدع اليها ، وانه في النهاية لم يستبطن الاشياء ، ولم يجسدها ، ولا يفيض فيها الحياة .

هذه ، بعض الاتهامات التي توجه الى شعرنا المؤتم ، بل الى ادبنا كله . وسنرى ما فيها من تجن على الحقيقة ، لا نعصبا منا ، ولا انحيازا ، ولا انكارا لسنة التطور ، والتجديد ، ولا دعوة للجمود ، فاننا آؤمن بالتطور والتجديد . ويا برك كل تجديد مفيد ، وكل جديد مبتكر ، ولا أقول ما قاله (اناتول فرانس) : « وجدت كل جديد في القديم ، ولم أجد في الجديد شيئا » .

حقا ، اني لست من رأي (اناتول فرانس) ، وان كنت أعظم من شأن الادب المؤتم لما جوى من روائع ، تصلح لكل زمان ومكان :
ولكي ابرهن على ما اقول سأتناول الاتهامات التي سبق ان ذكرتها وارد عليها واحدا فواحدا :

الالتزام وشعرنا المؤتم :

الالتزام ، هو مشاركة الشاعر الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية . والوقوف بحزم ، لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، الى حد انكار النفس في سبيل ما التزم به الشاعر او الاديب .. ونحن ، اذا تدبرنا شعرنا المؤتم ، وجدنا فيه مواقف خالدة من الالتزام ، نقول للذين يقولون ان شعرنا المؤتم ، بركة راكدة آسنة لا ثورة فيه ، ان في قولهم ، مجافاة للحقيقة ، فاي التزام يفوق التزام :

ا - شعراء الحزب الاموي ؟

ب - وشعراء الحزب العلوي ؟

ج - وشعراء حزب الخوارج ؟

ومثل هذه الاحزاب ، اصحاب النزعة الفطانية ، واصحاب النزعة العدنانية واصحاب النزعة الشعوبية ، الذين جعلوا همهم تدمير العنصر العربي ، وسحق سمعته في كل مجال .

لقد قبل الشاعر الملتزم التجويج ، الذي فرضه بنو امية على خصومهم السياسيين وقلدهم فيه كل من خاف من الكلمة ، وانرها ..

ولعل التاريخ لم يعرف التزاما اشد اصرارا على ما يتقصد صاحبه ، من التزام الخوارج ، رجالا ، ونساء ، فقد قالت أم حكم : « احمل رأسا قد سئمت حمله ، وقد مللت دهنه وغسله ، الا فتى ، يحمل عني ثقله ??? »

ومن ذلك أيضا قول (معاذ بن جوين) يحرض قومه وهو اسير :

الا ايها الشارون ، قد حان لامرئى ، شرى نفسه لله ، ان يترحلا اقمتم بدار الخاطئين جهالة ، وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا فشدوا على القوم الصداة فانها ، اقامتكم للذبح رأيا مضللا الا فاقصدوا يا قوم للغاية التي فياليتني فيكم ، على ظهر سباح شديد انقصيرى ، دارعا غير اعزلا فيا رب جمع قد قلت ، وغارة شهدت ، وقرن ، قد تركت مجدلا ...

وقول (فطري بن الفجاءة) في يوم دولاب :

فلم أر يوما ، كان اكثر مقصدا يهج دما ، من فانظ وكليم وضاربة خدأ كريما ، على فتى أفر ، تجيب الامهات ، كريم اصيب بدولاب ، ولم تك موطننا له أرض دولاب ، وديبر حميم فلو شهدتنا يوم ذلك ، وحيننا رأت فتية ، بانعوا الاله نفوسهم بجنات عدن ، عنده ونعيم

وقول (عمران بن حطان) في تمجيد (ابن ملجم) الذي اقتال

الامام علي ، كرم الله وجهه :

لله ذر الراذي السني سفتك كفاه ، مہجة شر خلق الله انسانا امسى عشية فشاها لضربته ، مما جناه من الآثام ، عريانا

وقول الطرماح :

« وامسى شهيدا ، ناويا في عصابة يصابون في فح من الارض خائف فوارس بين شبيان الف بينهم ، تقى الله ، نزالون عند الزواحف اذا فارقوا دنياهم ، فارقوا الاذى ، وصاروا الى معاد ما في المصاحف

اما الحزب العلوي فحسبي ان اذكر موقف الفرزدق في قصيدته (هذا الذي تعرف البطحاء وطائه)

اكتفي من الالتزام بهذه الالامة ، ففيها ما يشير الى ما نجس بصدده « معرضا عن مواقف الاخطل ، لسان بني امية وشاعرهم المدلل .

وانتقل الى قولهم ان الشاعر المؤتم ما عرف الامادية الحب ، ولم يسم به فوق وصف الخدود والنهود والقدود .

انا لا انكر ان الحب عاقفة تنبع اصلا من غريزة تسود عالم الحيوان ، كله ، لكن شعراءنا المؤتمين سموا بها الى مراتب سامية ، فانبتق منه شعراء التصوف ، محاولة الاتصال بالذات الالهية ، والقضاء فيها ..

فهل في عالم الحب ما هو انبل مما قاله (عمر بن اذينة) :

حجبت تحيتها ، فقلت لصاحبي « ما كان اكثرها لنا واقلها » واذا وجدت لها وساوس سلوة ، شفغ الضمير الى الفؤاد فسلها

وقول (جميل بن معمر) المعروف ب (جميل بثينة) :

وما زلت يا (بثن) حتى لو انني ، من الشوق استبكي الحمام بكى ليا اذا خدرت رجلي وقيل شفاؤها ، دعاء حبيب كنت انت دعائيا وما زادني اني الفرق بدمك ، سلوا ، ولا قول التلاقي تقالبا ولا زادني الواشون الا صبابة وفي النفس حاجات اليك ، كماهايا لقد خفت ان القى المنية بفتنة

وقول (يزيد بن الطثيرة) :

بنفسي من تو مر برد بنانسه ، على كبدي ، كانت شفاها انامله ومن هانسي في كل امر وهبته فلا هو يعطيني ، ولا انا ساتله

وقول (قيس بن ذريح) :

فان يحجوها او يعل دون وصلها ، مقالة واش ، او وعيد اميسر فلم يمنعوا عيني من دائم البكا ولم يذهبوا ما قد اجن ضميري

وقول (كثير عزة) :

وما كنت ادري قبل (عزة) ما اليكا ، ولا موجمات انقلب حتى تولت اسيتي بنا ، او احسنني ، لا ملومة لدينا ، ولا مقلية ان تفلت فوالله ، ثم الله ، ما حل قباها ، ولا بعدها ، من خلة حيث حلت

هذا ، ولا اريد ان اخوض في شعر التصوف ، الذي سماه بالحبه الى درجات مذهلة ، من العشق الالهي ، فهذا (ابن عربي) يقول :

وقد كنت قبل اليوم ، انكر صاحبي ، اذا لم يكن ديني الى دينه واني فاصح قلبي قابلا كل صورة فمرى لفرلان ، وديرا لرهبان ادين بدين الحب ، انسى توجهت ركائبه ، فالحب ديني ، وايماني

وهذه (رابعة العدوية) التي سبقت الى وضع قواعد الحب ،

والحزن في هيكل التصوف ، فمن كلامها : « محب الله لا يسكن ابيه وحينئذ ، حتى يسكن مع محبوبه .. »

الهيام بجمال الطبيعة :

اما ردي على الاتهام الرابع فهو حاضر من شعر انصر العباسي ، فقد هام بعض شعرائنا المؤمنين بالطبيعة ، وجسدوا محاسنها ، فابن الرومي افاض في الطبيعة الحياة ، فجعلها عشقة معشوقة ، جعل الشمس تودع الطبيعة حزينة ، فلم يكتف بالظواهر بل سما به الخيال ، وسما هو بالخيال ، الى مراتب قصية من الفن الاصيل : فقال :

اذا رنقت شمس الاصيل ونقضت على الافق الغربي ، ورسا مزعزا وودعت الدنيا تنقضي نجها وشول باقي عمرها ، فتشعشعا ولاحلت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدا ، الى الارض اضرا كما لاحظت عواده عين منصف توجع من اوصابه ما توجعا وظلت عيون النور تخضل بالندى كما افروقت عين الشجي لتدمعا يراعينها صورا ، اليها روانيا ويلحظن الحافظ ، من الشجو خشعا وبين اغضاء الفراق عليهما كأنهما خلا صفاء تودعا وقد ضربت في خصرة الروض صفرة من الشمس ، فاخضر اخضرارا مشعرا واذكي نسيم الروض رمان ظله وغنى مغني الطير فيه فسجعا وغرد رباعي الذباب خلاله كما حثت النشوان صنجا مشعرا

فهذه لوحة من رائع الفن ، تجسد الحياة ، بما فيها من حركة والم ، وحزن لفراق الاحبة .

اما تصويره لتربيع ، وتجاوزة للزخارف ، فامر يدعو الى الاعجاب بحيث يصوره حياة ، تدب في كل ما خلق في الكون :

تجد الوحوش به كفايتها والطير فيه عتيدة الطعام فطيأه تضحي بمنطق وحمانه يضحي بمختصم ان التربيع للالشباب ، وان الصيف يكسبه لكالمهرم

اما وصفه امتزاج روح الطبيعة بهبوب الرياح ، ومناجاة الاغصان بعفها بعضا وتنادي الطيور واتشاءها ، فصورة تستهوي النفس ، وتستولي على الفؤاد :

هبت سحيرا فناجى الفصن صاحبه موسوسا ، وتنادى الطير اعلانا ورق تقني على خضر مهدلة تسمو بها وتشم الارض احيانا تخال طائرها نشوان من طرب والفصن من هزه عطفيه نشوانا

ويبلغ منتهى الروعة ، وهو يصور الحياة الكامنة في الارض كهون النار في الحجر ، وكأنما هو يسمع ما تبوح به الارض من اسرارها ، وما تشكو منه ، اذ يقول :

لم يبق للارض من سر تكتمه الا وقد اظهرته ، بعد اخفاء ابنت طرائف وشي من زواهرها ، حمرا ، وصفرا ، وكل ثبت غبراء

وهو هائم بالطبيعة ، هيام الحبيب بحبيبه ، وكأنه يصفي الى الرياض ، وهي تشكو ، وتبكي مما بها من وجد ، وتشكو من شجو ، ومن الم :

تتداعى بها حمام شتى ، كالبواكي وكالقيسان الشوادي من مشان ، ممتعات قسران ، وفراد مفجمات ، وحساد تتفنى القران منهن في الايك وتبكي الفراد شجو الفراد

فوثبة خياله ، التي صورت الام الوحدة القائلة ، التي تنحدر دموعا من عيون الذين اوحشتهم الوحدة ، وامضهم الفراق ، يقابل ذلك تقني الذين ينعمون بالحب ولا يروهم الفراق ، وتسحقهم الوحدة .

ومن هيامه بجمال الطبيعة ، واندماجه بها ، قوله يصف الاغصان ، والرياح تحركها :

تلاميها ايدي الريح اذا جرت فتسمو ، ونحنو نارة فننكس اذا ما اعارتها الصبا حركاتها افادت بها لانس الحياة فتانس

ولعل اروع من ذلك ، مزجه ذكريات الشباب ، بجمال الطبيعة ، اذ يقول :

يذكرني اشباب جنان عدن على جنبات انهيار عذاب تفيء ظلها نفحات ريح تهب متون اغصان رطاب اذا ماست ذوائبها تداعت ، بواكي الطير فيها بانتحاب يذكرني الشباب رياض حزن اذا شمس الاصائل عارضتها والقت جنح مغربها شعاعا يذكرني الشباب سراة نهبي قرنه مژنة بكر ، واضحى على خصباء ، في ارض هجان له جبك ، اذا طردت عليه تذكرني الشباب صبا بليل اتت من بعدما انسجت مليا وقد عيقت بها ريا الخزامي يذكرني الشباب وميض برق فيا اسفا ويا جزعا عليه افجع بالشباب ولا اعزى ؟ تفرقا على كره جميعا وكانت ايكتي ليد اجتشاء ايا برد الشباب ، لكنت عندي بليت على الزمان ، وكل يرد وعز علي ان تبلى وابقى لبستك برهة ، تبس ابتذال ولو ملكت صوتك فاعلمنه

على جنبات انهيار عذاب تهب متون اغصان رطاب بواكي الطير فيها بانتحاب ترسم بينها ذرق الذبان وقد كربت توارى بالحجاب مريضا ، مثل الحافظ الكصاب نعيم آلاء مطرد الحجاب نرقره الصبا ، مثل السراب كان ترابها ذفر الملاب قرات به سطورا في كتساب رئيس المس لاغبة الركاب على زهر اقربى ، كل انسحاب كريا آتسك ، ضوع بانتحاب وسجع حمامة وحينئذ نساب ويا حزنا ، الى يوم الحساب لقد غفل المعزي عن مصابي ولم يك عن قلبي طول اصطحاب واضحت بعده ، تيد احتطاب من الحسنات ، والقسم الرغاب فيبين بلى ، وبين يد استلاب ولكن الحوادث لا تحابسى على علمي بفضلك في الثياب لعنتك في الحرير من العياب

فهذا الحنين الى الطبيعة ، والى الشباب الذي يحرك اوتار القلوب ، وهذا المزج اللطيف بينهما ، ينم على قدرة عجيبة فريفة ، وينم على ان الشاعر متصوف من متصوفة الطبيعة فالشاعر يجمع بين الشباب وروعته ، والحب وصفائه ، والطبيعة وجمالها ، لا بل اسرار جمالها الامر الذي يفسح كل فكر على شعرائنا المؤمنين هيامهم بجمال الطبيعة ، الى حد الاندماج يقنعه بخطا حكمه .

من المدهل ، في امر هذا الشاعر المبدع المحلق ، انه لا ينظر الى شيء من الجمال ، الا اخطر ذلك الجمال على باله ، صورة الطبيعة ، وما فيها من محاسن ، فاسمعه يقول :

اجنت تك الوجد ، اغصان وكتبان فهي نوعان : تفاح ورمان .. وفوق ذلك اعناب مهدلة سود ، لهن من الظلماء الوان وتحت هاتيك اعناب تلوح به اطرافهن ، قلوب القوم فنوان غصون بان ، عليها الدهر ، فاكهة وما الفواكه ، مما يحمل البان ونرجس ، بات ساري الظل يغويه واقحوان منير النور ربان الفن من كل شيء طيب حسن فهن فاكهة شتى وريحان

فهذا شاعر مؤتم ، خلاق الاحساس ، لا يكاد يجاري في وثبات خياله ، ومع هذا ، فان هناك من يقول : « ان الشاعر العربي المؤتم ، لا يفهم من الطبيعة الا ظواهرها ومظاهرها في حين ان ابن الرومي

الالتزام ، وقد رفع علم الثورة على الدخلاء من الحكام ، فنظرة في قصيدته التي منح بها (علي بن ابراهيم التنوخي) تفسر لنا ذلك ، اذ يقول :

وانما الناس بالملوك ، وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ، ولا حسب ولا عهد لهم ، ولا ذمم
بكل ارض وطقتها امم ترعى بعبد كأنها غم
يستخشن الخبز ، حين يلمسه وكان يبرى بظفراء القاسم

ونحن ذكرنا هذه القصيدة للمتنبي على سبيل المثال : من غير اختيار ، في حين ان الدعوة الى العروبة ، والالتزام والحكمة ، تحتل جزءا كبيرا من ديوانه الفخم .

ناهيك بما كان يلتزم به المتنبي من الاهتمام بطبقات الشعب ، الامر الذي اشاع اشعاره في اوساط الشعب كلها ، لان تلك الطبقات كانت ترى آمالها والامها في اشعاره لهذا اعجبت بالمتنبي ، ذلك الاعجاب الشديد الذي زرعه وذرعه شهرته في قلوب الناس .

التجديد في شعرنا المؤتم :

لقد جدد شعراؤنا المؤمنون في كل شيء ، حتى وصف الاطلال نفسه ، اتخذوا منه رمزا الى معان انسانية ، اذ حولوا تلك الاطلال صورا للفناء ، الذي يسوق كل ما في الحياة والوجود الى الاندثار والزوال المطلق . فقد جعلوا الاطلال صورا تديب الفناء وتجسيدها للتلاشي المتدرج ، وقد جدد شعراء العصر العباسي في كل ناحية ، وفي كل موضوع ، فمن ذلك ما جاء في قصيدة ابي تمام ، التي مدح بها المأمون :

دمن الم بها ، فقال سلام كم حل عقدة صبره الامام
نحرت ركاب القوم حتى يعبروا رجلا ، لقد عنفوا علي ولاوا
عشقوا ، فلا رزقوا ، ايمدلى عاشق رزقت بهواه مصالح وخيام
وقفوا علي اللوم ، حتى خيلوا ان الوقوف على الديار حرام
لا من يوم واحد ، الا وفي احسانه ، لمحتيك فمسام

الى ان يقول :

هن الحمام ، فان كسرت عيافة من حائهن ، فانهن حمام
فهذه صور تتم على تجسيد .

وجددوا في انطاق اتجماد اذ افاضوا في اتجماد حياة

ومن ذلك قصيدة ابن خفاجة الخالدة في استنطاقه الجبل :

وارعن طماح النؤابة بساخ يطاول اعنان السماء بفارب
وجددوا في ادخال الحكمة في شعرهم ، كما فعل المتنبي :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا .. وعناهم من امره ما عنانا
وثلوا بقصة كلهم ، منه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تكدر الاحسانا ..
وكانا لم نرض فينا بربسب الدهر حتى اعانه من اعانا ..
كلما انبت الزمان قنائة ركب المرء في القنائة سنانا
ومراد النفوس ، اصفر من ان تتماذى فيه وان تتفانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا كالحات ، ولا يلقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقي لحي لعنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جياتنا
كل ما لم يكن من الصبب في الانفس سهل فيها اذا هو كانا

من تجديد الشعر المؤتم :

ومن تجديد الشعر المؤتم الدعوة الى التحرر والثورة ، وذلك من قبيل الالتزام ايضا ، وحسبنا من ذلك ان نشبت ابيانان من قصيدة (ابراهيم

اليازجي) الموثبة ، التي كاد يدفع حياته ثمنا لها ، لو انه اعترف بكونها له :

تبهوا واستفيقوا ايها العرب فقدمى الخطب، حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالامال تخدعكم واتم بين راحات الفنا سلب؟
كم تظلمون ، ولستم تشكون وكم نستفضيون ، فلا يبتو لكم غضب،
الغم الهون ، حتى صار عندكم طبعا ، وبعض طباع المرء مكتسب
الله صبركم ، تو ان صبركم في ملتقى الخيل، حين الخيل تضرب
كم بين صبر ، غدا تلذل مجتلبا وبين صبر ، غدا للرز يجتلب
فشمروا ، وانفضوا للامر، وانتدروا لا يصدق الفوز، ما لم يصدق الطلب
بالله يا قومنا هيا لشانكم فكم تنادىكم الاشعار والخطب
الستم من سطوا في الارض واقتحموا شرقا ، وغربا ، وعزوا اينما ذهبوا
ومن اذوا الملوك الصيد، فارعدت وزلزل الارض مما تحتها الرهب
ومن بنوا لمروح العز اعمدة نهوى الصواعق عنها ، وهي تغلب
فما لكم ، ويلكم ، اصبحتم هملاء، ووجه عزكم بالهون ينقلب
لا دولة لكم ، يشتد ازركم بها ، ولا ناصر للخطب ينتدب
وليس من حرمة ، او رحمة لكم تحنو عليكم ، اذا غصنكم النوب

ونطلق من موبة ابراهيم اليازجي الى موبيات الشاعر القروي:

أ - وعد بلفورد

ب - نكبة دمشق

ج - قحط الرجال

صياما الى ان يظفر السيف بالدم وصمنا الى ان يصدق الحق يافهي
افطر ، واحرار الحمى في مجاعة وعيد ، وابطال الجهاد بمائم
بلادك ، قدمها على كل ملة ومن اجلها افطر ، ومن اجلها صم
الى ان يقول :

هبوني عبدا ، يجعل العرب امة وسيروا بجثمانى على دين برهم ..

وليس الذي جاء في اشعار شوقي وابرصافي والزهاوي وخليل مطران وحافظ ابراهيم ، باقل في وطنيته وخلوده مما ذكرنا .

ناهيك بما جده شوقي في تطويع الشعر العربي المؤتم للمسرح، وتطويع القصيدة العربية للقصة عند خليل مطران .

ونعظم قيمة هؤلاء عندي ، انهم لم يلجأوا الى الرمزية المفرقة في الضبابية .

ثورة على القديم :

بعد كل ما تقدم ، علي ان اقرر ، ان البشرية تواجه ثورة عتلية ، شملت كل شيء فلم ترحم ادبا ولا فلسفة ولا سياسة ولا اجتماعا ، وهي ثورة شملت الفكر ، والعمل ، فنحن نواجه اثورة هذه مواجهة فعلية ، وقد ضاعت او كادت تضيع في ثاباها ، كل محاكمة نزيهة .. وكان النقاد الثائرين ، لم يعد يهمهم ان يتوقفوا عند حكم قديم ، فقد بما قسم الشعر الى :

أ - شعر خالص .

ب - وشعر غير خالص .

فالشعر الخالص ، هو الذي ينتقل تأثيره من الشاعر الى سامعيه ، وقارئيه فهو كالمفطيس ، الذي لا يجذب الحديد فقط ، بل يكسبه خاصية الجذب ، كما قال (افلاطون) وقد دار حوله الجدل فسي فرنسة وانكلترا ، في اوائل هذا العصر .

اما الشعر غير الخالص ، فهو الذي حدد القوم عناصره في مايلي :
(الموضوع ، الافكار ، معنى الجملة ، ترتيب الافكار المنطقي ، والتدرج في الدلالات على التجربة ، وتفصيل الوصف ، وكل الافكار والشاعر ، والصور المباشرة ، والدين يتعصبون للشعر الخالص يقولون مع (فلوبيسر) :

(ان بيتنا جميلا من الشعر ، لا يدل على شيء ، خير من بيت اقل منه جمالا وان اشتمل على معنى ..)

في حين ان (افلاطون) و (ارسطو) كانا يدعوان الى غاية تربية

في الشعر ، ومن هنا ، كان ينظر الى الشاعر ، انه قائد فكري لقومه ، كان هذا في بلاد اليونان يوم اتخذت الايلاذة كتابا مقدسا للقوم .

وكان ذلك عند العرب في جاهليتهم ، يوم عنقت العلاقات في الكعبة ، ونالت من التكريم ، ما نالت اصنامهم ، اقول ذلك - على الرغم من كل شك في ذلك - لثقتي برواية (ابن خلدون) مع كل هذه الثورة العالمية التي معنا اليها ، وعلى كل ما اصاب الشعر المؤتم من تنكسر وانكار ، لما فيه من خير ، اقرر ان شعرنا المؤتم ، فيه قيم خالدة ومفاهيم جديدة منها :

أ - تعبيره عن عواطف الانسان بعمق .

ب - انه قد التزم بكل ما يهم عصره التزاما اصيلا مخلصا .

ج - جدد في كل ناحية يمكن ان يتناولها الشاعر .

د - هام بالطبيعة ، وتفاعل معها ، وانطق جامدها واصلتها .

هـ - جسد الحب ، وارتقى به الى مراتب سامية .

و - تفاعل مع الاوضاع ، وطور شعره ، الى حد قرر فيه موقفه من المجتمع والفن ، كما عبر عن ذلك (برتولدبرخت) يوم قرر موقفه من المجتمع والفن قائلا :

(تخليت عن طبقتي ،

واتخذت اصحابا لي ،

اناس متواضعي المنبت)

والشاعر العربي المؤتم ، لم يكن منزولا عن مجتمعه ، وكانت لفته معبرة واضحة ، على تقيض ما نرى من رمزية غامضة تشير الى ان الفرق في رمزيته ، لا يعدو ان يكون واحدا من ثلاثة :

١ - ليس متمكنا من فنه .

٢ - لا يدري ما يريد ان يقول .

٣ - او هو يتهرب من مواجهة الحقائق التي يدعو الى الالتزام بها . وما احسن ما قاله الشاعر الياباني (تسوراويوكي) من شعراء المائة العاشرة :

(ان للشعر جذرا ، وهو القلب

وان له اوراقا ، آلاف الكلمات)

وعندي ان الشاعر الذي لا ينبع شعره من القلب ، ولا يعرف ان يستعمل كلمات لفته ، ليس شاعرا ، ولو نظم عشرات الدواوين .

ز - واجه مشكلات الحياة ، وعانى من الحيرة البرهقة ، وحاول تغيير ما يحدث للانسان فوقف حائرا يسأل نفسه :

اكل ما يحدث للانسان بقضاء وقدر ؟

ام ان الانسان حر في تصرفاته ؟

ام هو مسير ، لا خيار له في امره ؟

ووقف امام لغز الحياة ، ورهبة الموت ، وعالم الروح ،

فهذا ابن سينا يعالج قضية الروح في عينيته الخالدة :

هبطت اليك من المحل الارتفاع ورفقاء ذات تعزز وتمنع

وعالج الشاعر العربي المؤتم الامور يحلل ويحلل ، وصل الى احكام

بعد شكوك مضنية رهيبية ، كما وصل المعري بعد شكوكه كلها . يقول

في قصيدته التي نعددها رثاء للانسانية :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ، ولا ترئم شاد .

اذ يقول :

خلق الناس للبقاء ، فضلت امة يصيبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار اعمال الى دار شقوة او رشاد

فالليب اللبيب ، من ليس يفتتر بكون مصيره للفساد

ح - ادخلوا في شعرنا المؤتم التأمل والحوار والحكمة

ط - وان شعراؤنا المؤتمين عرفوا الالتزام فطرة ، قبل ان تفرضه

الواقعية الاشتراكية ، والوجودية .

ي - الشاعر المؤتم آمن بان خير الشعر اصلقه كما قال حسان بن

ثابت .. ونقش بقوله ما شاع حتى ملا الاسماع ، من ان خير الشعر . اذبه .. فقال حسان :

(وان اشعر بيت انت قائله بيت ، يقال اذا انشدته صدقا)

ومعنى وقول حسان ان الكلمة الصادقة هي نضال في سبيل حرية الانسان وكرامته ولا يمكن ان يكون للكلمة قيمة ، الا اذا كانت صادقة كل الصدق .

وقد كان (عمر بن الخطاب) وهو الناقد البصير ، يقدم (زهير ابن ابي سلمى) على الشعراء لانه صادق ، فهو ، لا يعاقل ولا يتبع حوشي الكلام ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه ..

الشعر الحديث يتكئ على الشعر المؤتم
وعلى التراث الشعبي :

لا اريد ان اتهم الشعر الحديث ، لكني اريد ان اقرر ان الشعر الحديث ، كثيرا ما يتكئ على الشعر المؤتم ، او على التراث ، وهو يريد الواقعية ، ولكي اقدم البرهان المادي ابتدىء بشاعر الاردن الاصيل (مصطفى وهبي التل) الذي لقب نفسه ب (عرار) واذكر قصيدته البارعة (هب الهوا) التي عارض فيها ، وتأثر باغانسي الدارسيين (هب الهوا يا ذاري)

هب الهوا وشجلك ان نسيمه في صفة الاردن ربح سموم
ويقول :

هب الهوا وانما وانت يهنا قبض العاش بيومه المعلوم
وحكومة السفهاء لم تعرف لها وجها بهذا الوطن المشؤوم
باعوا البلاد وحضرتي وجنابكم لكسن بلا تمن الى حاييم

وقال في قصيدته (امالي عرار)

سالت البلبل الفريد يا (ناعور) وشلونيه ؟
اي ، ما لونه ، ومعناها كيف حاله ؟

وقال :

من لم يكن ذبا ، فان زمانه يفري به العشرات من ذؤبانه ..
وقد ضمنه المثل الشعبي القائل : (اللي ما هو ذيب تاكله الذيابة)

اما شعراء العراق ، فقد استعانوا بالتراث الشعبي :

أ - الفاظ ب - وامشالا

ج - واساطير ومعتقدات ، من ذلك ..

استعمال السياب كلمة (خطية) بمعنى الاشفاق :

بين احتقار وازورار

..... او (خطية)

واستعماله كلمة (طاب) بمعنى شفي من مرضه :

ويا حديثك عن « الام » يلذعها

بعدي فتسال عن بابا : « اما طابا »

واستعمال النيباني للمثل الشعبي : (اضحك بمك)

وما انا اضحك في عبي وامضي تاركا عبادة الجليل

وهذا السياب يضمن شعره اعتقادا شعبيا وهو قصة يا جوج وما جوج
يقوله في عوائده (المومس العمياء) .

يا جوج يفرز فيه ، من حنق ، اظافره الطويلة ،

ويعض جندله الاصم ، وكف ما جوج الثقيلة ،

تهوي كاعنف ما تكون ، على جلامده الضخام ،

.. والسور ياق لا يثل .. وسوف يبقى الف عام ،

لكن (ان شاء - الاله)

- طفلا كذلك سمياه -

سيهب ذات ضحى ويقلق ذلك السور الكبير .

أهم ركائز البحث

– تطور عمود الشعر عند العرب – محاضرة لـ (روكس بن زائد العزيزي)
نشرت في :

- ١ – مجلة الايمان – النجف الاشراف
- ٢ – مجلة الاقلام – بغداد
- ٣ – رسالة المعلم – عمان / الاردن
- ٤ – مجلة افكار – عمان / الاردن

– فريسة ابي ماضي – لـ (روكس بن زائد العزيزي)
– عشيات وادي اليبس – ديوان مصطفى وهبي التل .
– ديوان المتنبي – شرح البرقوقى .
– شجر القابة الحجري – طراد الكبيسي
– ديوان ابي تمام – طبعة بيروت
– ديوان البخري – طبعة بيروت
– الشعر / مجلة فصلية – تصدر عن دار الاذاعة والتلفزيون بالقاهرة .
– ديوان اشاعر القروي – طبعة صنبول البرازيل
– معروف الرصافي لـ – مصطفى عبداللطيف السحرتي ، قاسم الخطاط ، محمد عبدالنعم خفاجي
– الزهاوي ديوانه المفقود – هلال ناجي
– المجاني الحديث – فؤاد افرام البستاني
– مقدمة ابن خلدون – طبعة بيروت
– الشوقيات – لاحمد شوقي
– ديوان الخليل – لخليل مطران
– النقد الادبي الحديث – الدكتور محمد غنيمي هلال
– قاموس العادات – اللهجات – والاوايد الاردنية – لـ (روكس بن زائد العزيزي)
– ابن الرومي – حياته من شعره (لعباس محمود العقاد)
– المعلقة السبع – شرح الزوزني
– ديوان زهير بن ابي سلمى – طبعة بيروت .

ولعل اعظم اعتماد صارخ على التراث ، ما صنعه المرحوم ايليا ابو ماضي – وانكره – اذ اتكا على قصيدة (علي الرميثي) في قصيدة اللين ، التي عليها قامت دعائم شهرته ، فقد كان المرحوم ابوماضي ينظم احيانا اربعة ابيات ، لكي يؤدي معنى بيت واحد من قصيدة الرميثي :

قال الشاعر الرميثي :

النوه اللي بضميرك وهقوة لي مثلها باشين بالقلب نهواه
نحلم حلوما حلوة يوم نرسي وتهر يوم السعد ما بان مالطاه
وقال ابو ماضي :

لك في عام النهار امانى ونؤى والظلام فوقك ممتسد
وبقلبي ، كما بقلبك ، احلام حسان ، فانه غير جلمد
امانسي كلها للتلاشي ؟ وامانيك للخلسو المؤكسد
لا فهذي وتلك تاتي وتمضي ... كلويها ، واي شيء يؤسد ؟

بخلاصة ما اريد ان اقول : ان الشعر المؤتم على اشتمل على مفاهيم العصر ، وكان في كثير من المواقف معينا للشعر الحديث ، كما اتكا الشعر الحديث مع التراث الشعبي .

اجل ، لقد احتوى الشعر المؤتم على مفاهيم العصر الحديث ، من غير تسمية الاصطلاحات ، حتى الثورة على عمود الشعر ، عرفها الموشح الاندلسي ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ،

روكس بن زائد العزيزي

عمان – الاردن

الادب المعاصر والقراء

تتمة المنشور على الصفحة ٣٩ –

السيبل اذن الى وقف شيء من زحف المرأة في هذا الاتجاه ، لو كان للمجتمع نفع في وقفه ، وقد قبلنا الديمقراطية والانظمة الاقتصادية الحديثة وتحديات العصر القاسية !!

وكلمة اخيرة موجزة جدا تعيط بما ذكرنا كله ، وهي ان تطور الطبيعة والاحياء والانسان والحياة الاجتماعية الى الافضل على وجه هذه الارض امر محتوم . تلك هي مقالة التطور العضوي ومقالة الجدلية بحتميتها التاريخية . لماذا الى الافضل ؟ البحث طويل وليس هنا مكانه ، ولكن التطور والجدلية جاءتنا على هذا النحو الايجابي ، التقدمي وكان يمكن ان تجيئنا على نحو آخر . فمن لم يسر من ادبائنا المعاصرين او الكتاب والمفكرين مع سنن هذا الركب ، ركب التطور الى الامام والافضل والاعلى ، فقد حبط عمله واصابه الجمود والغلان ، ومن عرف هذا السير وآمن به وجاهد في عالم الفكر او الكتابة او الادب على اساسه فقد بقي ونفع امته ، واذا تجاوز هذه الحدود فقد نفع البشرية جميعا ، وكان من الخالدين .

محمد اديب العامري

عمان – الاردن

ليسواوي بين الجنسين مساواة تامة . ولسنا ندعو دعوة عامدة ، عندما تبنى المعاصرة الى استيراد عادات ومبادئ سيئة كربة ، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة قد لا تترك لنا احيانا الا خيارا ضيقا ، بين ما نأخذ وما ندع .

وليس في مقدورنا ان نضع رجلا في التراث واخرى في المعاصرة ، كما يقترح الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه الجديد « ثقافتنا في مواجهة العصر » ولا نستطيع على حد قوله « ان احصر النظر في الظواهر وحدها في ساعات حياتي الملئية ، وان اخلع عن عن نفسي عباءة العلم في الساعات الوجدانية » . . لكي الفصل « فصلا حادا » بين حياتي هنا وحياتي هناك ، بل يجب الانسجام مع روح العصر – عصرنا الذي سيصبح ابيه تراثا لنا ونحترمه كما نحترم الان تراثنا القديم . ولا مانع بالطبع من ان نناقش بعض النتائج السيئة التي ستدفعنا اليها المعاصرة حين يكون ذلك ممكنا دون اعمال وتهزل . ان الديمقراطية والاستقلال الاقتصادي للمرأة مثلا يدفعانها الى طلب المساواة مع الرجل . ويدفعها الى ذلك ايضا مستوى الانتاج الذي يجب ان نيز به خصومنا او الدول الاخرى . فكيف